ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:
Hussam Taha Zaidan Al-Itbi
Wasit University/ College of Arts.
Email:hussamtaha270@gmail.com.
Prof. Dr. Saad Dahis Nassir Al-Hassani
Wasit University/ College of Arts
Email:Sdahis@uowasit.edu.iq

.Keywords: criticism, number, class, poetry
ARTICLE INFO

Article history:
Received 23 Aug 2025
Accepted 12 Sep2025
Available online 1 Oct 2025

Number and the theory of classes in ancient Arabic criticism

Abstract

This research seeks to uncover the role played by numbers in ancient Arabic criticism, particularly in the theory of classes. Ancient Arab critics were keen to use numbers in their critical discourse as a tool for evaluating, organizing, and classifying poets, dividing them into classes according to precise critical criteria. The most prominent manifestation of the relationship between numbers and class theory is found in Ibn Salam al-Jumahi (d. 231 AH) in his book (Tabaqat Fuhuul al-Shu'ara').

He was keen to divide and classify poets according to systematic classes, relying on critical criteria that combined artistic quality, time, and the number of poems, among other critical criteria. Throughout all of this, he used numbers as a means of evaluation and organization. This helped him to imbue his judgments with an objective character, making him one of the first Arab critics to employ numbers not only as a numerical tool, but also as a critical construct for distinguishing and differentiating between poets..

© 2025 LARK, College of Art, Wasit University

DOI : https://doi.org/10.31185/lark.4619

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

الباحث حسام طه زيدان العتبي/ جامعة واسط/ كلية الآداب
أ. د. سعد داحس ناصر الحسني/ جامعة واسط/ كلية الآداب

الخلاصة

يسعى البحث إلى الكشف عن الدور الذي أداه العدد في النقد العربي القديم، وعلى وجه الخصوص في نظرية الطبقات، فقد حرص النقاد العرب القدامى على استعمال العدد في خطابهم النقدي، بوصفه أداة لتقويم وتنظيم وترتيب الشعراء وتقسيمهم إلى طبقات، على وفق معايير نقدية دقيقة، وأبرز تجليات العلاقة بين العدد ونظرية الطبقات نجدها قد ظهرت عن ابن سلام الجمحي (231ه) في كتابه: (طبقات فحول الشعراء)، إذ حرص على تقسيم وترتيب الشعراء على وفق طبقات منتظمة، مستنداً إلى معايير نقدية تجمع بين الجودة الفنية والزمن وكثرة الأشعار وغيرها من المعايير النقدية الأخرى، مستعملاً في كل ذلك العدد بوصفه وسيلة تقويم وتنظيم، فقد ساعده في أن يضفي على أحكامه طابعاً موضوعياً، مما جعله أن يكون من أوائل النقاد العرب الذين وظفوا العدد ليس بوصفه أداة حسابية فقط، وإنما بنية نقدية للتمييز بين الشعراء والتفاضل بينهم .

الكلمات المفتاحية: النقد، العدد، الطبقة، الشعر.

إن العدد وطبقات الشعراء مترابطان في الخطاب النقدي العربي القديم، إذ أدّى العدد دوراً مهماً في تصنيف الشعراء وترتيبهم في طبقات، وحرص النقاد القدامى على استعمال العدد في خطابهم النقدي؛ لأهميته البالغة في عملية التصنيف، معتمدين على معايير دقيقة كالجودة الشعرية، وكثرة شعر الشاعر، وتعدد أغراضه وغيرها من المعايير التي اعتمدها النقاد في اختيار الشعراء وتقسيمهم على طبقات، تتفاوت في الأهمية والتأثير من حيث مستويات الإبداع والتميّز بين الشعراء.

في مطلع القرن الثالث الهجري أُلفت كتب تهتم بدراسة أحوال الشعراء وحياتهم ونوادرهم ومراتبهم، وقد تفرع هذا التأليف إلى اتجاهين رئيسين: الاتجاه الأول ركز على تناول الشعراء ومنازلهم وأحوالهم، مع ما ذكر عنهم، وتقديم نماذج مختارة من أشعارهم الجيدة، وأصحاب هذا الاتجاه اهتموا بانتقاء طبقات الشعراء البارزين في كل فن. أما الاتجاه الثاني: فركز أصحابه على اختيار النماذج الشعرية الجيدة، وهو ما يعرف بالمختارات، مع تقديم نبذة مختصرة عن حياة الشعراء، ويعنى أصحاب هذا الاتجاه بانتقاء طبقات الشعر ذات المستوى الرفيع. (ينظر: المجالي، 1992م،60).

إن المشهور عند أغلب النقاد أن أول من ألف كتاباً بالطبقات هو ابن سلام الجمحي، أطلق عليه (طبقات فحول الشعراء)، إلا أن الواقع يشير إلى أن هناك من سبق ابن سلام إلى ذلك، فأبو عبيدة معمر بن المثنى (209ه)، قد ألف كتاباً في الطبقات، وقد أشار إلى ذلك ابن النديم في كتابه الفهرست، إلا أن ضياع الكتاب دفع مؤرخي النقد إلى أن يعدوا ابن سلام أول من ألف في الطبقات. (ينظر: الصفار، وحلاوي، 1999م، 82).

كذلك الأصمعي (216) سبق ابن سلام بالتأليف في فكرة الطبقات حين ألف كتابه (فحولة الشعراء)، معتمداً على مبدأ الفحولة، فقد قسم الشعراء تقسيماً ثنائياً: الفحول وغير الفحول، وقد أخذ ابن سلام من الأصمعي فكرة الفحولة، ولكنه توسع فيها وزاد عليها، فأصبحت الفحولة عنده درجات. (ينظر: عباس، 1983م، 15).

أما ابن قتيبة (276ه) فقد ألف كتاباً يتناول الشعر والشعراء بعنوان (الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء)، تناول فيه مجموعة كبيرة من الشعراء، وصل عددهم إلى مائتين وأثنين شاعراً من الجاهليين والإسلاميين، مرتبين ترتيباً زمنياً، وقد ابتدأ كتابه بامرئ القيس، وخُتِم بعلي بن جبلة (ينظر: الشكعه، 1991م، 419)، وذكر أنسابهم وأخبارهم وأحوالهم، إذ قال: "هذا كتاب ألفته في الشعراء، أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم، وأقدارهم، وأحوالهم في أشعارهم، وقبائلهم، وأسماء آبائهم، ومن كان يعرف باللقب أو بالكنية منهم. وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره، وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطاء في ألفاظهم أو معانيهم، وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون. وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته، وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها". (ابن قتيبة، ج59/1).

أما ابن المعتز (296ه) فقد ألف كتاباً في الطبقات سماه (طبقات الشعراء)، وقد تحدث فيه عن مائة وواحدٍ وستين شاعراً، وابتدأ بذكر الشاعر بشار بن برد، وانتهى بمحمد بن عبد الملك ابن صالح، وقد عرض لنا ابن المعتز ألواناً من الشعر لطائفة من شعراء العصر العباسي، الذين وصفوا بالمحدثين، فكان كتاباً جمع فيه الشعراء وأخبارهم. (ينظر: الشكعه، 1991م، 432).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وعلى ما يبدو أن مصطلح الطبقة كان مصطلحاً قديماً، فقد استعمله العرب، وقرّ في أذهانهم، حينما قسّم العلماء القدامى الشعراء إلى طبقات، بحسب جودة أشعارهم، وبهذا قال الجاحظ (255ه): "سمعت العلماء يقول: طبقات الشعراء ثلاث: شاعر، وشويعر، وشعرور. قال: والشويعر مثل محمد بن حمران بن أبي حمران، سماه بذلك امرؤ القيس بن حجر" (الجاحظ، 1998م، ج10/2)، كما نقل الجاحظ آراء العلماء الذين سبقوه في الشعراء ودرجاتهم، مبيناً فكرة الطبقات بشكل واضح، قائلاً: "والشعراء عندهم أربع طبقات. فأولهم: الفحل الخنذيذ. والخنذيذ هو التام. قال الأصمعي: قال رؤبة : الفحولة هم الرواة. ودون الفحل الخنذيذ الشاعر المفلق، ودون ذلك الشاعر فقط، والرابع الشعرور. ولذلك قال الأول في هجاء بعض الشعراء:

يـا رابـعَ الشـعراءِ كيـف هجـوتني وزعمـتَ أنـي مُفْحَـمٌ لا أنطِـقُ

فجعله سكيتاً مخلفاً، ومسبوقاً مؤخراً". (الجاحظ، 1998، ج10/2).

ونحن بدورنا سنتناول طبقات الشعراء عند ابن سلام الجمحي؛ لاعتماده على العدد بشكل واضح وصريح في كتابه (طبقات فحول الشعراء)، حيث استعمله في تقسيم الشعراء إلى طبقات منظمة على وفق معايير دقيقة، وكذلك لأنه قد بُني على العدد من أوله إلى آخره.

أولاً: العدد وتطبيق الشعراء

ساعد العدد النقاد القدامى في تصنيف الشعراء وتنظيمهم في طبقات، فهو يعد أحد المفاهيم الأساسية التي اعتمدوها للوصول إلى ذلك، وابن سلام من الأوائل الذين استعملوا هذا المنهج العددي في النقد العربي في كتابه: (طبقات فحول الشعراء)، فقد قسّم الشعراء على طبقات منتظمة، مستنداً إلى معايير محددة مثل: الزمن، والجودة، وكثرة الأشعار لدى الشاعر، وغيرها من المعايير النقدية، مستفيداً من العدد في تنظيم هذه الطبقات وتقسيمها، وكذلك في تقسيم الشعراء داخل كل طبقة.

حرص ابن سلام على اختيار مشاهير الشعراء وصنفهم في طبقات تبيّن مكانتهم، وإن هذا العمل قد تطلب منه تحليل النصوص الأدبية بشيء من الدقة والاهتمام؛ للكشف عن جمالها الفني وإبراز قيمتها، إلا أنه ركز على الشعراء أنفسهم، وانتقى الفحول منهم، ولما وجد عدد الشعراء الفحول كبيراً، اختار فحول الفحول منهم (ينظر: المجالي، 1992م،72)، وكان هذا واضحاً في قوله: "فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً" (الجمحي، ج24/1).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

اعتمد ابن سلام منهجاً في تصنيف الطبقات، يقوم على الفحص الدقيق، والتأمل، والرواية الموثوقة عن العلماء المختصين بالشعر والشعراء، بقوله: "ثم اقتصرنا بعد الفحص والنظر والرواية عمّن مضى من أهل العلم إلى رهطٍ أربعة، اجتمعوا على أنهم أشعر العرب طبقة" (الجمحي، ج49/1-50). نجد أن نظرية الطبقات عند ابن سلام استندت ابتداء إلى العدد أربعة وهو العدد الذي كان حاضراً أكثر من غيره في الخطاب النقدي العربي.

وضح ابن سلام ألا يوجد تفضيل لشاعر على آخر في شعراء الطبقة الواحدة، بل أن طبيعة التصنيف هي التي تجعل أحدهم يسبق الآخر بقوله: "وليس تبدئتنا أحدهم في الكتاب نحكم له، ولا بُدَّ من مبتدأ" (الجمحي، ج50/1).

انتقى ابن سلام في كتابه مائة وأربعة عشر شاعراً، توزعوا على عدة طبقات، وفي كل طبقة كان العدد حاضراً، وله دور مهم في تنظيم هؤلاء الشعراء وتقسيمهم، ونحن بدورنا سنقوم بربط العدد بهذه الطبقات في خطاب ابن سلام النقدي، وهي:

أ/ العدد وطبقات الشعراء الجاهليين

حدد ابن سلام الجمحي طبقات الشعراء الجاهليين بعشر طبقات، ووضع أربعة شعراء في كل طبقة، فقد وضع في الطبقة الأولى أربعة رهط هم: (امرؤ القيس ، ونابغة بني ذبيان، وزهير بن أبي سلمى، والأعشى)، وكان يستند إلى آراء العلماء السابقين الذين يفضلون الشعراء، ويضعونهم في المراتب الأولى (ينظر: إبراهيم، 1988م،84). ومن ذلك برر تفضيل امرئ القيس على أقرانه من شعراء طبقته بقوله: "فاحتج لامرئ القيس من يقدمه قال: ما قال ما لم يقولوا، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها، واستحسنتها العرب، واتبعته فيها الشعراء: استيقاف صحبه، والتّبكاء في الديار، ورقة النسيب، وقرب المأخذ، وشبه النساء بالظباء والبيض، وشبه الخيل بالعقبان والعصي، وقيد الأوابد، وأجاد في التشبيه، وفصل بين النسيب وبين المعنى" (الجمحي، ج55/1)، في حين إن حكم ابن سلام في هؤلاء الأربعة كان بالأفضلية نفسها، فجميعهم متساوون عنده، ولكنه لا بد من أن يبدأ بأحدهم، وهذا ما وضحه في قوله: (لا بد من مبتدأ)، الذي أشرنا إليه سابقاً.

وكذلك من احتجاجه لشعراء الرهط الأول وتقديمهم على أقرانهم، قوله: "أخبرني يونس بن حبيب: أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس بن حجر، وأهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى، وأن أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً والنابغة" (الجمحي، ج52/1). وفي الطبقة الثانية وضع أربع شعراء هم: أوس بن حجر، وبشر بن أبي خازم، وكعب بن زهير، والحطيئة أبو مُليكة، وقال في أوس بن حجر: "وأوس نظير الأربعة المتقدمين، إلا أنا اقتصرنا في الطبقات على أربعة رهطٍ" (الجمحي، ج97/1).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وهنا يتبين أن تحديد الطبقة بالعدد أربعة، قد أدى إلى وقوع ابن سلام في بعض المزالق، مثلما حدث مع أوس بن حجر، الذي كان يستحق أن يدرج ضمن الطبقة الأولى، إلا أن التزام ابن سلام بالعدد أربعة هو ما أدى إلى تأخيره إلى الطبقة الثانية (ينظر: المجالي، 1992م،74)، وعلى الرغم من ذلك فإن العدد أربعة وفرّ لنظرية الطبقات دفعة تنظيمية كبيرة ولافتة للنظر.

نرى أن ابن سلام قد اعتمد على العدد في هذه الطبقة، إذ نهج منهجاً عشرياً رباعياً في تقسيمه لشعراء طبقة الجاهليين، وقد بلغ عددهم أربعين شاعراً، وكان العدد أربعة هو الصفة البارزة في هذا المنهج، على الرغم من أن ابن سلام لم يبيّن سبب اختياره لهذا العدد، وربما جاء اختياره له لأمور تنظيمية أكثر منها نقدية.

ب/ العدد وطبقة أصحاب المراثي

ضمت هذه الطبقة ثلاثة شعراء وشاعرة واحدة، وهي الخنساء المرأة الوحيدة التي ذكرها ابن سلام في كتابه الطبقات، وانتقى طبقة المراثي مستنداً إلى موضوعاتهم الشعرية (ينظر: الكواز، 2006م، 223). حيث قال: "وصيرنا أصحاب المراثي طبقة بعد العشر الطبقات. أولهم: متمم بن نويرة... والخنساء... وأعشى باهلة... وكعب بن سعد" (الجمحي، ج203/1-204)، فقد اختار ابن سلام موضوعاً واحداً وهو الرثاء اجتمع

عليه أربعة شعراء رهط (القرشي، 2023م، 14)، وقد ذكر رأيه في اختياره للمقدم عليهم قائلاً: "والمقدم عندنا متمم بن نويرة، ويكنى أبا نهشل، رثى اخاه مالك بن نويرة" (الجمحي، ج204/1).

يرى الدكتور بدوي طبانة أن سبب تخصيص ابن سلام لأصحاب المراثي بالذكر في طبقاته، دون غيرهم من الشعراء الذين تناولوا سائر الأغراض الشعرية؛ هو أن شعر الرثاء يكون أغزر ألوان الشعر بالعاطفة الصادقة (ينظر: طبانة، 1969م، 162).

إن ابن سلام وعلى الرغم من اختياره لشعراء هذه الطبقة ممن اشتركوا في غرض واحد وهو الرثاء، فإنه ظلّ محافظاً على منهجه في الاعتماد على العدد أربعة في اختيار هؤلاء الشعراء؛ وقد يكون سبب ذلك حرصه على التناسق العددي والترتيب المنهجي.

ج/ العدد وطبقة شعراء القرى العربية

ضمت هذه الطبقة اثنين وعشرين شاعراً، توزعوا على النحو التالي:

1- خمسة شعراء من المدينة، ثلاثة من الخزرج واثنان من الأوس.
2- تسعة شعراء من مكة.
3- خمسة شعراء من الطائف.
4- ثلاثة شعراء من البحرين.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

إذ قال: "وهي خمس: المدينة، ومكة، والطائف، واليّمامة، والبحرين، وأشعرهن قرية المدينة. شعراؤها الفحول خمسة: ثلاثة من الخزرج، واثنان من الأوس. فمن الخزرج، من بني النجار: حسان بن ثابت. ومن بني سلمة: كعب بن مالك. ومن بلحارث بن الخزرج: عبد الله بن رواحة. ومن الأوس: قيس بن الخطيم، من بني ظفر. وأبو قيس بن الأسلت، من بني عمرو بن عوف" (الجمحي، ج215/1).

اعتمد ابن سلام في تصنيفه لهذه الطبقة على الأساس المكاني، فقد جعل كل الشعراء الحضر الذين وجد لهم شعراً في طبقة، إذ كان ينظر إلى تأثير البيئة في كل من الشعر والشاعر (ينظر: سلوم، 1981م، 117)، وقد جعل حسان بن ثابت في مقدمة هؤلاء الشعراء محتجاً له بقوله: "وهو كثير الشعر جيده، وقد حُمل عليه ما لم يحمله على أحدٍ". (الجمحي، ج215/1).

وقد تفاوت انتقاؤه لعدد الشعراء من كل قرية، مبرراً هذا التفاوت بين كثرة أشعار القرى أو قلتها، وعلى سبيل المثال ما قاله في شعراء الطائف: "وبالطائف شعر وليس بالكثير، وإنما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء، نحو حرب الأوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويغار عليهم. والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم نائرة، ولم يحاربوا" (الجمحي، ج259/1)، كما أن ابن سلام قد بيّن أن سبب قلة الشعر عند بعض

القرى يرجع إلى عزلتها كما في قوله: "وذلك الذي قلل شعر عمان. وأهل الطائف في طرفٍ". (الجمحي، ج259/1).

لم يلتزم ابن سلام في هذه الطبقة بمنهجه العددي القائم على اختيار أربعة شعراء، وإنما كان هناك تفاوت في اختياره لعدد الشعراء في كل قرية، وفقاً لغزارة أو شحة الإنتاج الشعري في كل قرية، فالقرية التي كان فيها شعر كثير، حرص ابن سلام على زيادة عدد شعرائها، والقرية التي فيها شعر قليل كان عدد شعرائها أقل.

د/ العدد وطبقة شعراء يهود

وقد ضمت هذه الطبقة ثمانية شعراء، حيث قال فيهم ابن سلام: "وفي يهود المدينة وأكنافها شعر جيد" (الجمحي، ج279/1)، وهم: السموال بن عادياء، والربيع بن أبي الحقيق، وكعب بن الأشرف، وشريح بن عمران، وسعية بن العريض، وأبو قيس بن رفاعة، وأبو الذيال، ودرهم بن زيد. (ينظر: الجمحي، ج279/1-294).

ويرى الدكتور داود سلوم أن ابن سلام قد عزل عقيدة الشاعر ودينه عن شعره، وهو بذلك قد أعطى أهمية وقيمة لشعر اليهود، وهذا يدل على ثقافة ونضج الناقد والموقف الحيادي الذي اتخذه اتجاه شعر اليهود (ينظر: سلوم، 1981م، 119).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ويبدو أن ابن سلام قد رأى أن اختيار أربعة شعراء غير كافٍ في طبقة شعراء يهود، فاختار ثمانية شعراء، وقد يكون سبب ذلك أن عدد الشعراء اليهود الذين استحقوا أن يضعهم في هذه الطبقة أكثر من أربعة، أو ربما لكثرة إنتاجهم الشعري وما توفر لديه من أشعارهم.

ه/ العدد وطبقة الشعراء الإسلاميين

جعل ابن سلام طبقة الشعراء الإسلاميين أربعين شاعراً، موزعين على عشر طبقات، حيث قال فيهم: "عشر طبقات: كل طبقة أربعة رهطٍ متكافئين معتدلين" (الجمحي، ج297/2)، وقد بدأ بالطبقة الأولى ووضع فيها أربعة شعراء هم: جرير، والفرزدق، والأخطل، والراعي النميري. (ينظر: الجمحي، ج297/2-298).

واصل ابن سلام منهجه النقدي ذاته عند تفضيله لشعراء هذه الطبقة واختيارهم، مستعيناً بآراء العلماء والأدباء الذين سبقوه، مستنداً إلى حججهم وآرائهم في تفضيلهم وتقديمهم ووضعهم في ميزان التفضيل (ينظر: مكي، 1999م، 165)، إذ قال في شعراء الطبقة الأولى: "فاختلف الناس فيهم أشد الاختلاف وأكثره. وعامة الاختلاف، أو كله، في الثلاثة. ومن خالف الراعي قليل، كأنه آخرهم عند العامة". (الجمحي، ج299/2).

وما حصل مع أوس بن حجر، ووضعه في الطبقة الثانية من شعراء الجاهلية، وإقراره بأنه قرين الأربعة أصحاب الطبقة الأولى، حصل في الطبقة الأولى الإسلامية، فقد ضم ابن سلام الراعي مع جرير والفرزدق

والأخطل، رغم أن الراعي كان أولى بأن يكون في الطبقة الثانية أو غيرها، إلا أن التزام ابن سلام بقاعدة أربعة رهط لكل طبقة هو ما ادى إلى إدخال الراعي ليزاحم الثلاثة الفحول (ينظر: سلطان، 1986م، 241).

اعتمد ابن سلام في تصنيفه للطبقات الجاهلية والإسلامية على عامل الزمن الذي يجمع بين الشعراء، كما استند إلى آراء العلماء السابقين في التقديم والتأخير فيما بينهم والتفضيل، وقد اختار الشعراء المشهورين، ووضعهم ضمن طبقات (ينظر: مكي، 1999م، 165)، وعاد ابن سلام في هذه الطبقة والتزم بمنهجه العددي السابق في تقسيمه العشري والرباعي للشعراء.

بناءً على ما تقدم نجد أن ابن سلام قد استند إلى العدد في تقسيم الطبقات تقسيماً متساوياً، عدا شعراء القرى العربية وشعراء طبقة يهود، فقد استعمل العدد (أربعة) في كل طبقة، حينما وضع فيها أربعة شعراء، وربما كان هذا قراراً منهجياً تنظيمياً لا علاقة له بالفن أو الشعر، ولكنه ساعد في تنظيم الشعراء بشكل متوازن، وهو بذلك يعد معياراً شكلياً، وهذا ما جعل ابن سلام يضطر للاعتذار في بعض الأحيان لتأخيره شاعرٍ حقه أن يتقدم أو العكس، لاقتصاره على العدد أربعة في كل طبقة، وهذا ما لاحظناه مع أوس بن حجر والراعي النميري.

وقد يكون اختياره للعدد اربعة جاء لجعل تصنيفه أكثر فهماً وسهولةً في التطبيق، فمثلاً لو اختار عدداً أقل من أربعة، كأن يكون اثنان (طبقتان)، يكون بعيداً عن الدقة، ولا يسعفه في التفريق بين المستويات المختلفة من الشعراء، ولو اختار عدداً أكبر من العدد أربعة، لربما يصبح الأمر معقداً، ويصعب استيعابه من المتلقي.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ثانياً: العدد والمعايير النقدية في اختيار الشعراء

ارتبطت نظرية الطبقات عند ابن سلام بمجموعة من المعايير النقدية الفنية، فقد وضع ابن سلام مقاييس نقدية محددة، وجعلها أساساً لتقديم الشاعر أو تأخيره، كما بنى عليها تقسيم طبقاته وهي:

أ/ الفحولة

تعد الفحولة الأساس الواضح الذي استند إليه ابن سلام في انتقاء الشعراء في طبقاته، فقد عدّ كل الشعراء في كتابه فحولاً (ينظر: عباس، 1983م، 80)، إذ صرح بذلك قائلاً: "فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً، فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه" (الجمحي، ج24/1)، وقال في شعراء الطبقة الرابعة الجاهلية: "وهم أربعة رهطٍ فحول شعراء" (الجمحي، ج137/1)، ونادراً ما يذكر ابن سلام شاعراً من دون الاشارة إلى الفحولة، وهو أمر يتجلى بوضوح في مقدمته، كما يظهر جلياً في ثنايا كتابه، كما أنه ذكر مصطلح الفحولة في ذكره للشاعر أبي ذؤيب الهذلي إذ قال: "وكان أبو ذؤيب شاعراً فحلاً لا غميزة فيه ولا وهن" (الجمحي، ج131/1)، وقال أيضاً عن الأسود بن يعفر: "وكان الأسود شاعراً فحلاً" (الجمحي، ج147/1)،

ارتبط العدد بمعيار الفحولة بشكل واضح، فقد استعمله ابن سلام في اختيار الشعراء الفحول، كما أنه حرص على أن يقلص عدد الشعراء الفحول إذا كان عددهم كبيراً، فيختار فحول الفحول منهم.

ب/ الكثرة والجودة

من المعايير التي اعتمدها ابن سلام في المفاضلة بين الشعراء كثرة شعر الشاعر وجودته، فنرى ذلك جلياً في أكثر من موضع في كتابه، فقد قال في الأعشى: "وأكثرهم طويلة جيدة" (الجمحي، ج65/1)، أي جمع بين الكثرة والعدد وطول القصائد وجودتها.

ومن الأمثلة الأخرى على تفضيله لكثرة الشاعر هو اعتذاره لوضع طرفة وعبيد الأبرص وعلقمة وعدي بن زيد في الطبقة الرابعة الجاهلية، وكان حقهم بحسب رأيه التقديم، إذ قال: "وهم أربعة رهطٍ فحول شعراء، موضعهم مع الأوائل، وإنما أخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة" (الجمحي، ج137/1)، وكذلك حديثه عن أصحاب الطبقة السابعة الجاهلية إذ قال: "أربعة رهطٍ محكمون مقلّون، وفي أشعارهم قلة، فذاك الذي أخرهم. (الجمحي، ج155/1).

كما اقترنت عنده الكثرة مع الجودة، فهو بعد أن اختار أربعة من شعراء المراثي، عمد إلى أن يفاضل بينهم، فوجد أن متمم بن نويرة أعلاهم درجة، وجاء هذا التفضيل؛ لأن متمماً رثى أخاه مالكاً فأكثر وأجاد (ينظر: المجالي، 1992م، 131-132)، ومن أحكامه على الكثرة والجودة قوله: "كان قراد بن حنش من شعراء غطفان، وكان قليل الشعر جيده" (الجمحي، ج733/2)، وكذلك قال في حسان بن ثابت: "وهو كثير الشعر الجيد" (الجمحي، ج215/1)، وقوله في السود بن يعفر: "وله واحدة رائعة طويلة، لاصقة بأجود الشعر، ولو كان شفعها بمثلها قدمناه على مرتبته" (الجمحي، ج147/1)، وقوله في علقمة الفحل: "ولابن عبدة ثلاث روائع جياد، لا يفوقهن شعر". (الجمحي، ج139/1).

يتفاوت تأثير كثرة الشعر وجودته من شاعر إلى آخر وهو أمر نسبي، إذ لا تمثل الكثرة في الشعر العادي قيمة حقيقة، بينما تنال أهميتها عندما يتعلق الأمر بالشعر الجيد (ينظر: جاسم، 2017م، 62)، فقد تعوض قصيدتان بلغتا من الجودة مرتبة عالية عن خمس أو ست قصائد لم تبلغ إلى درجة هاتين القصيدتين في الجودة (ينظر: المجالي، 1992م، 132).

كما أن ابن سلام جعل الكثرة والجودة الفيصل والحكم في التفضيل بين الفرزدق وجرير والأخطل، إذ قال: "إن للأخطل خمساً أو ستاً أو سبعاً طوالاً روائع غرراً جياداً، هو بهن سابق، وسائر شعره دون أشعارهما، فهو فيما بقي بمنزلة السُكيت- والسُكيت: آخر الخيل في الرهان. ويقال إن الفرزدق دونه في هذه الروائع، وفوقه في بقية شعره، فهو كالمُصلى أبداً. والمُصلى: الذي يجئ بعد السابق، وقبل السكيت. وجرير له روائع هو بهن سابق، وأوساط هو بهن مُصل، وسَفسافات هو بهن سُكيت". (الجمحي، ج375/2).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

كان العدد حاضراً في هذا المعيار عن طريق استعماله بشكل مباشر وصريح من ابن سلام في تفضيل شاعر على أخر، أو عن طريق غزارة الإنتاج الشعري لدى الشاعر، فكلما زادت عدد قصائد الشاعر مع طولها وجودتها، كان المفضل عند ابن سلام؛ ولذلك كثرت ألفاظ الأعداد في خطابه النقدي.

ج/ تعدد الأغراض والقدرة على التصرف فيها

عدّ ابن سلام تعدد الأغراض الشعرية معياراً في تقديم الشعراء وتفضيلهم، وكان ذلك واضحاً في مواضع عديدة من كتابه، حيث أشار إلى تنوع الأغراض الشعرية وقرنها بتقديمه للشعراء. فقد وضع الأعشى في الطبقة الأولى، لأنه يحسن التصرف في الأغراض الشعرية، إذ قال فيه: "وقال أصحاب الأعشى: هو أكثرهم عروضاً، وأذهبهم في فنون الشعر، وأكثرهم طويلة جيدة، وأكثرهم مدحاً وهجاءً وفخراً ووصفاً، كل ذلك عنده". (الجمحي، ج65/1).

كما أنه قدم كثيراً على جميل؛ لتعدد الأغراض الشعرية عنده، إذ قال: "وكان لكثير في التشبيب نصيب وافر، وجميل مُقدم عليه وعلى أصحاب النسيب جميعاً في النسيب، وله في الفنون الشعر ما ليس لجميل. وكان جميل صادق الصبابة، وكان كثير يتقول، ولم يكن عاشقاً، وكان راوية جميلٍ" (الجمحي، ج545/2)، وهذا دليل واضح على اهتمام ابن سلام بتقديم الشاعر؛ لتعدد أغراضه الشعرية، فهو قدم كثيراً على جميل على الرغم من اعترافه أن جميلاً يتقدم عليه بالنسيب، ولكن تعدد الأغراض الشعرية عند كثير هي التي دفعته إلى تقديم كثير، وجعله في الطبقة الثانية الإسلامية، ووضع جميل في الطبقة السادسة.

كما أن ابن سلام وافق رأي بشار العقيلي في تفضيل جرير على الفرزدق؛ لأنه كان الأكثر قدرةً وتصرفاً في تناول أغراض الشعر المختلفة (ينظر: المجالي، 1992م، 135)، إذ قال في هذا الشأن: "سألت بشاراً العقيلي عن الثلاثة، فقال: لم يكن الأخطل مثلهما، ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه، فقلت فجرير والفرزدق؟ قال: كان جرير يحسن ضروباً من الشعر لا يحسنها الفرزدق. وفضل جريراً عليه". (الجمحي، ج374/2).

ووضع ابن سلام ابن قيس الرقيات والأحوص وجميل بن معمر ونصيب ضمن الطبقة السادسة الإسلامية؛ لغلبة فن الغزل في أشعارهم، كما أنه خصص للرجاز طبقة تاسعة متأخرة؛ لأنهم اقتصروا على الرجز في الغالب (ينظر: جدعونة، 2011، 111)، حرص ابن سلام على اختيار الشعراء الذين سعوا إلى الخوض في أكثر عدد من الأغراض الشعرية، وهذا ما يجلوا قدرة الشاعر على الإبداع والتعبير، وتقدير الناقد القديم لتلك الميزة.

د/ البيئة

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

يُعد المكان وما له من تأثير في الشعر والشعراء، أحد المعايير التي اعتمدها ابن سلام في تصنيفه طبقاته وتقسيمه للشعراء فيها، حيث قسّم الشعراء قسمين: شعراء وبر وهم البدو، وشعراء مَدَر وهم الحضر، ووضع الشعراء الذين يسكنون البادية في إحدى عشرة طبقة، وحدد الطبقة الحادية عشرة منها لشعراء المراثي، أما الشعراء الذين يسكنون الحضر وجدهم ينحصرون في خمس قرى (ينظر: المجالي، 1992م، 123)، إذ قال عنها: "وهي خمس: المدينة، ومكة، والطائف، واليمامة، والبحرين، وأشعرهن قرية المدينة" (الجمحي، ج215/1).

كما أنه جعل الطبقة السادسة الإسلامية لشعراء الحجاز، إذ قال: "حجازية، أربعة رهطٍ" (الجمحي، ج2، 647)، وقال في عدي بن زيد، وهو أحد شعراء الطبقة الرابعة الجاهلية: "وعدي بن زيد كان يسكن الحيرة ويراكن الريف، فَلان لسانه وسهل منطقه" (الجمحي، ج1، 140)، فقد اختلفت صفات شعره باختلاف بيئته. ويرى ابن سلام أن التحضر يؤثر في جزالة الألفاظ فيجعلها لينة مشكلة على العلماء (ينظر: المجالي، 1992م، 125)، إذ قال في شعر أهل قريش: "وأشعار قريش أشعار فيها لين، فتشكل بعض الإشكال". (الجمحي، ج245/1).

وخالف ابن سلام عند اختياره لمعيار البيئة (المكان) منهجه العددي، فهو لم يأخذ بالتقسيم الرباعي، الذي اعتمده في طبقات الشعراء الجاهليين أو الإسلاميين، إنما اكتفى بالحصر المكاني، وهذا أحدث تبايناً في عدد شعراء كل قرية، فعدد شعراء المدينة خمسة، وعدد شعراء مكة تسعة، وعدد شعراء الطائف خمسة، أما شعراء البحرين فكانوا ثلاثة.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ه/ التشابه

صرح ابن سلام في كتابه (الطبقات) بمعيار من معايير تقسيم الطبقات، وهو معيار التشابه إذ قال: "فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه" (الجمحي، ج24/1)، وعدّ الدكتور إحسان عباس معيار التشابه الأساس الثاني في تقسيم ابن سلام الشعراء طبقاتٍ، وهو تقارب في أشعار أصحاب كل طبقة، ولكنه يرى إذا احتكمنا إلى مقاييسنا النقدية، فسنجد صعوبة في اكتشاف تشابه كبير بين شعر زهير أو النابغة، كما سنتردد في وضع أبي ذؤيب الهذلي مع النابغة الجعدي في طبقة واحدة كما عمل ابن سلام، نظراً للاختلاف بين الشاعرين وأشعارهما. وإن التشابه الحاصل قد يكون في الموضوع، كما حصل في جمعه أصحاب المراثي في طبقة واحدة، أو أن يجمع ابن قيس الرقيات والأحوص وجميل بثينة ونصيباً في طبقة واحدة؛ لأنهم يشتركون في موضوع الغزل، أو يجمع الرجاز في طبقة واحدة (ينظر: عباس، 1983م، 80).

وقد يكون التشابه في المنزلة الشعرية بما يتعلق بالقدرة والتفوق، ولكنه في بعض الأحيان يمتد ليشمل معاني أخرى تتجاوز المقدرة والتفوق، فقد يكون التشابه في الموضوع الشعري أو البيئة أو الدين (ينظر: المجالي، 1992م، 73).

و/ الدين

ظهر الدين بوصفه معياراً نقدياً عند ابن سلام عند تقسيمه الطبقات، فقد خصَّ شعراء اليهود في طبقة وحدهم، ضمت ثمانية من مشاهير شعرائهم، قال فيهم: "وفي يهود المدينة وأكنافها شعر جيد" (الجمحي، ج1، 179)، وكان ترتيبهم بعد شعراء القرى العربية، ويرى الدكتور منير سلطان ضرورة ذكر ابن سلام لشعراء اليهود ووضعهم في طبقة؛ لأنهم شعراء المدينة أولاً، وكما أنهم كانوا يتحدثون اللغة العربية في شعرهم ثانياً (ينظر: سلطان، 1986م، 237)، وقد عرض ابن سلام مجموعة من أشعارهم الجيدة، ولكن شعراء اليهود كانوا مقلين في شعرهم، وقد يكون سبب ذلك أنه لم يكن لهم نصيب كبير في الحروب التي تعد الحافز لقول الشعر بحسب رأي ابن سلام (ينظر: المجالي، 1992م، 73).

وفي ضوء ما تقدم كان للعدد دور بارز ومهم عند ابن سلام في استعماله في المعايير النقدية عند تقسيمه الطبقات أو الشعراء داخل كل طبقة، فالعدد كان أداة ومعياراً نقدياً عنده في اختيار الشعراء، فمثلاً كثرة الشعر الجيد عند الشاعر أو طول القصائد من الأمور التي كان يستدل بها على فحولة الشاعر، وهي أمور مرتبطة بالعدد، وكذلك تعدد الأغراض الشعرية عند الشاعر جعلت ابن سلام يضع الشعراء في مقدمة الطبقة، وهذا ما لاحظناه عند تقديمه لكثير على جميل.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

فهو ينظر إلى العدد بوصفه مقياساً نقدياً في ترتيب الشعراء، فالشاعر الذي عدد قصائده قليلة يضعه في مرتبة متأخرة، وهذا ما حصل مع شعراء الطبقة الرابعة الجاهلية، فهم شعراء مقلون؛ لهذا تم تأخيرهم إلى هذه الطبقة.

ويبدو أن ابن سلام قد التزم بالتقسيم العددي العشري الرباعي ما استطاع إلى ذلك سبيلا؛ ليمكنه من إعطاء قيمة نقدية متساوية لكل عصر شعري؛ ولكي لا يكون منحازاً لعصر دون آخر، ولو أنه لم يلتزم بهذا النظام العددي العشري الرباعي؛ لكانت هناك فوضى في اختيار الشعراء.

الخاتمة

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج:

1- أدى العدد دوراً بارزاً ومهماً في النقد العربي القديم، ولا سيما في تصنيف الشعراء وترتيبهم وتقسيمهم في طبقات منظمة على وفق معايير دقيقة.

2- إن ابن سلام الجمحي استند إلى العدد في تقسيم الطبقات تقسيماً متساوياً، عن طريق استعمال العدد أربعة في كل طبقة، ولكنه خرج عن هذا التقسيم الرباعي في بعض الأحيان للضرورة أو بسبب اختلال المنهج، كما حصل مع شعراء القرى العربية وشعراء طبقة يهود.

3- كشف البحث عن العلاقة بين العدد والمعايير النقدية التي كانت الأساس والأداة المعيارية عند ابن سلام في اختياره للشعراء، فكثرة الشعر الجيد، وطول القصائد، وتعدد الأغراض الشعرية، كل هذه الأمور مرتبطة بالعدد بصورة صريحة وضمنية، وقد مكنته من انتقاء الشعراء ووضعهم في طبقات.

4- التزم ابن سلام بتقسيم عشري رباعي؛ ليمكنه من إعطاء قيمة نقدية متساوية لكل عصر شعري؛ ولكي لا تكون هناك فوضى في اختيار الشعراء.

المصادر والمراجع

1. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (د. ت)، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة - مصر، ج1، (د. ط).

2. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (1998م)، البيان والتبين، ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهر- مصر، ط7.

3. الجمحي سلام، طبقات فحول الشعراء، ابن قرأه وشرحه: محمود محمد شكر، دار المدني، جدة - السعودية، (د. ط)، (د. ت).

4. الشكعه، د. مصطفى، (1991م)، مناهج التأليف عند العلماء قسم الأدب، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط6.

5. الصفار، د. ابتسام مرهون، حلاوي، د. ناصر، (1999م)، محاضرات في تاريخ النقد عند العرب، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ط2.

6. الكواز، محمد كريم، (2006م)، البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد، دار الانتشار العربي، بيروت - لبنان، ط1.

7. المجالي، د. جهاد، (1992م)، طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط1.

8. إبراهيم، الأستاذ طه أحمد ، (1988م)، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، دار القلم، بيروت - لبنان، ط1.

9. جدوانة، د. حسين، (2011م)، دراسات في النقد الأدبي القديم، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط1.

10. طبانة، د. بدوي (1969م)، دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - مصر، ط5.

11. سلطان، د. منير، (1986م)، ابن سلام وطبقات الشعراء، منشأة معارف، الاسكندرية - مصر، ط2.

12. سلوم، د. داود، (1981م)، مقالات في تاريخ النقد العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، (د. ط).

13. عباس، د. إحسان، (1983م)، تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ط4.

14. مكي، د. الطاهر أحمد، (1999م)، دراسة في مصادر الأدب، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، ط8.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

15. جاسم، د. مجبل عزيز، (2017م)، وحدة البيت في النقد العربي بين الإيجاز وعيب الصناعة وانفعال الشاعر، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، كلية الآداب – جامعة واسط، مجلد (9)، العدد (4).

16. خلف عباس القرشي ن. (2023). التسويغ في معلقة امرئ القيس Justification in Imru' al-Qais's hanging. *مجلة واسط للعلوم الانسانية*, *19*(1). https://doi.org/10.31185/.Vol19.Iss54.381

Sources and Referennces

1. Ibn Qutaybah, Abu Muhammad Abdullah ibn Muslim, (n.d.), Poetry and Poets, edited and explained by Ahmad Muhammad Shakir, Dar al-Ma'arif, Cairo, Egypt, Vol. 1, (n.d).

2. al-Jahiz, Abu Uthman Amr ibn Bahr, (1998), Al-Bayan wa al-Tabyeen, edited and explained by Abd al-Salam Muhammad Harun, al-Khanji Library for Printing, Publishing, and Distribution, Cairo, Egypt, 7th ed.

3. al-Jamhi Salam, Classes of the Great Poets, Ibn Qara'ah and explained by Mahmoud Muhammad Shukr, Dar al-Madani, Jeddah, Saudi Arabia, (n.d.), (n.d).

4. al-Shaka'ah, Dr. Mustafa, (1991), Methods of Authorship Among Scholars, Literature Department, Dar al-Ilm lil-Malayin, Beirut, Lebanon, 6th ed.

5 .al-Saffar, Dr. Ibtisam Marhoun; Halawi, Dr. Nasser, (1999), Lectures on the History of Arab Criticism, Dar al-Kutub for Printing and Publishing, Baghdad, 2nd ed.

6 .Al-Kawaz, Muhammad Karim (2006), Rhetoric and Criticism: Terminology, Origins, and Renewal, Dar Al-Intishar Al-Arabi, Beirut, Lebanon, 1st ed.

7 .Al-Majali, Dr. Jihad (1992), Classes of Poets in Arab Literary Criticism until the End of the Third Century AH, Dar Al-Jeel, Beirut, Lebanon, 1st ed.

8 . Ibrahim, Professor Taha Ahmad (1988), History of Arab Literary Criticism from the Pre-Islamic Era to the Fourth Century AH, Dar Al-Qalam, Beirut, Lebanon, 1st ed.

9 .Jadwana, Dr. Hussein (2011), Studies in Ancient Literary Criticism, Hamada Foundation for University Studies, Publishing, and Distribution, Amman, Jordan, 1st ed.

10 .Tabana, Dr. Badawi (1969), Studies in Arabic Literary Criticism from the Pre-Islamic Era to the End of the Third Century AH, Anglo-Egyptian Library, Cairo, Egypt, 5th ed.

11 .Sultan, Dr. Munir, (1986), Ibn Salam and the Classes of Poets, Mansha'at Maaref, Alexandria, Egypt, 2nd ed.

12 .Salloum, Dr. Daoud, (1981), Articles on the History of Arab Criticism, Dar Al-Tali'a for Printing and Publishing, Beirut, Lebanon, (n.d).

13 .Abbas, Dr. Ihsan, (1983), The History of Literary Criticism Among the Arabs: Criticism of Poetry from the Second to the Eighth Century AH, Dar Al-Thaqafa, Beirut, Lebanon, 4th ed.

14. Makki, Dr. Al-Taher Ahmad, (1999), A Study of the Sources of Literature, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, Egypt, 8th ed.

15. Jassim, Dr. Mujbil Aziz, (2017), The Unity of the Verse in Arabic Criticism between Brevity, Defects in Craftsmanship, and the Poet's Emotion, Lark Journal of Philosophy, Linguistics, and Social Sciences, College of Arts - University of Wasit, Volume (9), Issue (4).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

16. Al-Qurashi, Dr. Nasir Khalaf Abbas, (2023), Rationalization in Imru' al-Qais's Mu'allaqa, Wasit Journal of Humanities, College of Education for Humanities - University of Wasit, Volume (19), Issue (1).
https://doi.org/10.31185/.Vol19.Iss54.381

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية